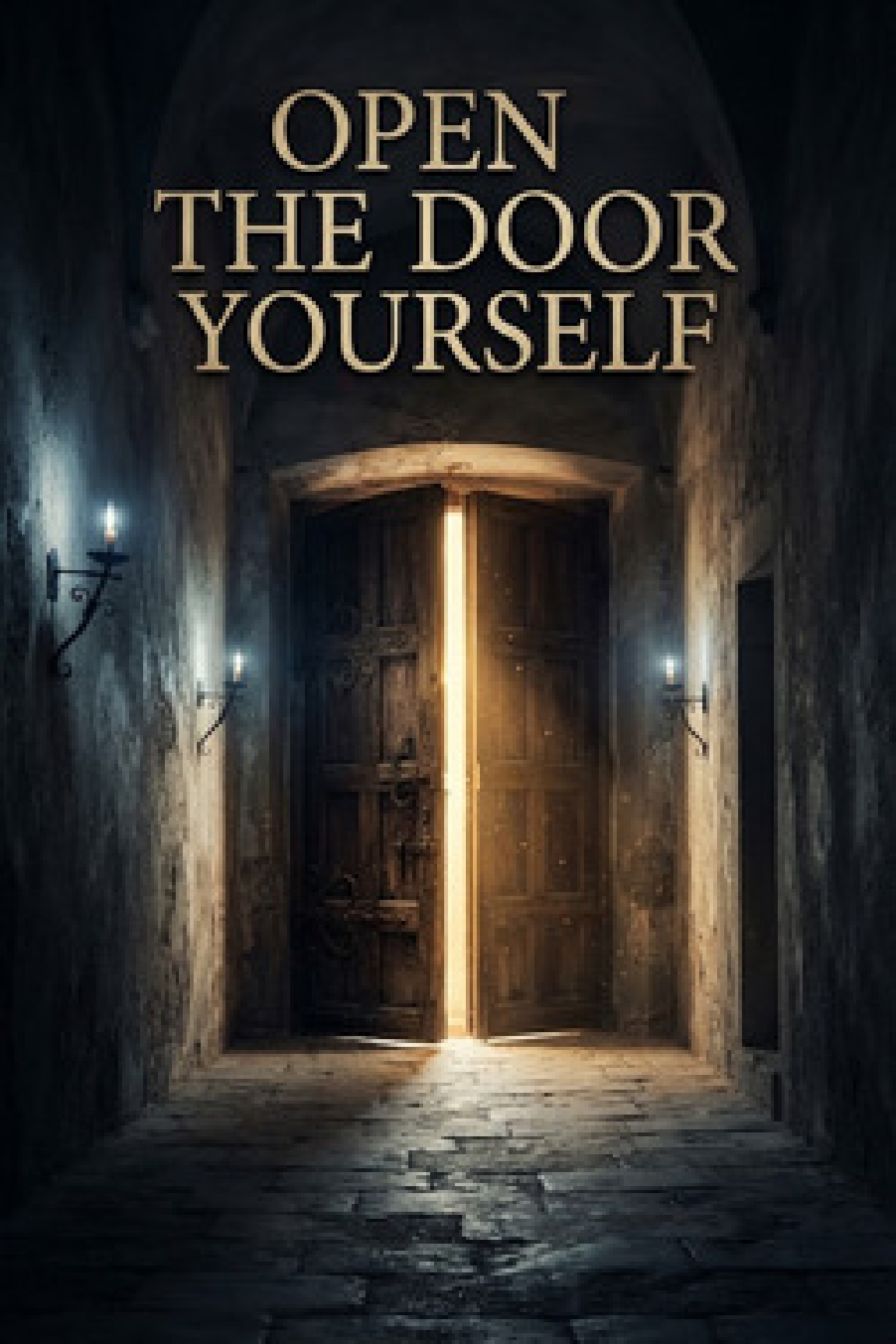

OPEN
THE DOOR
YOURSELF

عتبة 5

افتح الباب بنفسك

هناك عادة غريبة ترافق كثيرًا من الناس طوال حياتهم.

ينتظرون.

ينتظرون اللحظة المناسبة.

ينتظرون الفرصة المناسبة.

ينتظرون الاعتراف.

ينتظرون من يقول لهم إنهم جاهزون.

ينتظرون تصريحًا خفيًّا لا يكاد يصل أبدًا.

لسنوات راقبت رجالًا ونساءً استثنائيين يقفون جامدين على عتبة إمكاناتهم.

لا لأنهم كانوا يفتقرون إلى الموهبة.

لا لأنهم كانوا يفتقرون إلى الذكاء.

بل لأنهم كانوا ينتظرون إذنًا.

شخصًا يقول:

«انطلق».

«الآن تستطيع».

«أنت مخوَّل».

الحياة نادرًا ما تسير هكذا.

بل تكاد لا تسير هكذا أبدًا.

حين أنظر إلى الوراء، ألاحظ أنّ ما من قرار مهمّ حقًّا في وجودي سبقه يقين.

ولا واحد.

حين بدأت شيئًا جديدًا لم أكن جاهزًا.

حين غيّرت الاتجاه لم أكن أملك كلّ المعلومات.

حين قبلت تحدّيات أكبر منّي لم أكن أملك ضمانات.

كنت أملك قناعة واحدة فقط.

أنّ البقاء جامدًا كان سيكون أسوأ.

الفرق بين حياة معيشة وحياة مُشاهدة يوجد غالبًا هناك.

في اللحظة التي يكفّ فيها إنسان عن طلب الإذن من المستقبل.

في شبابنا نعتقد أنّ هناك أشخاصًا مكلّفين بأن يقرّروا عنّا.

المعلّمون.

المديرون.

المؤسسات.

السلطات.

مع الوقت نكتشف أنّ أولئك الأشخاص يواجهون اللغز نفسه الذي نواجهه نحن.

لا أحد يملك خريطة كاملة.

لا أحد يعرف النهاية حقًّا.

الجميع يرتجلون جزءًا من حكايتهم.

هذا الاكتشاف قد يخيف.

أو قد يحرّر.

بالنسبة إليّ كان تحريرًا.

لأنه أجبرني على تحمّل المسؤولية.

المسؤولية كلمة عجيبة.

كثيرون يربطونها بالثقل.

أنا أربطها بالحرّية.

ما دام غيرك يقرّر عنك، يمكنك دائمًا أن تلقي عليه اللوم.

حين تقرّر أنت، لا تعود هناك أعذار.

لا يبقى سواك.

والاتجاه الذي اخترته.

كانت هناك لحظات كان فيها التخلّي أبسط بكثير.

أن أبقى حيث كنت.

ألّا أخاطر.

ألّا أعرّض نفسي.

ألّا أتغيّر.

كلّ مسار يحتوي على هذه المفترقات.

تصل دون أن تعلن عن نفسها.

باب يُفتَح.

جزء منّا يريد أن يعبره.

وجزء آخر يريد الهرب.

لأنّ للتغيير ثمنًا دائمًا.

لا أحد يرى تلك اللحظة.

من الخارج يبدو كلّ شيء بسيطًا.

من الداخل هي معركة.

لا ضدّ العالم.

بل ضدّ أنفسنا.

ضدّ الخوف من الخطأ.

الخوف من ألّا نكون على قدر المقام.

الخوف من الحكم علينا.

الخوف من فقدان ما نملكه أصلًا.

تعلّمت أنّ الخوف مستشار سيّئ لكنه مؤشّر ممتاز.

غالبًا يشير بالضبط إلى الاتجاه الذي ينبغي أن نستكشفه.

لا لأنه ممتع.

بل لأنه يحتوي على نموّ.

التجارب التي حوّلت حياتي لم تكن مريحة.

لم تكن مضمونة.

لم تكن خالية من المخاطر.

كانت ببساطة ضرورية.

عند نقطة معيّنة يجب الاختيار.

يمكن الاستمرار في طلب التصاريح.

أو يمكن البدء في العيش.

والاثنان نادرًا ما يجتمعان.

التقيت أشخاصًا كانوا يملكون كلّ مؤهّل ممكن ولم ينطلقوا أبدًا.

وآخرين لم يكونوا يملكون شيئًا تقريبًا لكنهم عبروا قارّات، وبنوا مشاريع، وواجهوا أمراضًا، وأعادوا اختراع وجودهم.

الفرق لم يكن في السيرة الذاتية.

كان في الموقف.

هؤلاء كانوا قد فهموا شيئًا.

لا أحد كان سيأتي لإنقاذهم.

لا أحد كان سيسلّمهم اللحظة المثالية.

لا أحد كان سيشهد رسميًّا بأنهم جاهزون.

لذلك بدأوا.

وكفى.

مع الوقت أدركت أنّ كلّ التحوّلات الكبرى تقريبًا تبدأ بشكل ناقص.

خطوة أولى متردّدة.

مكالمة هاتفية.

رحلة.

توقيع.

قرار يبدو أكبر من الشخص الذي يتّخذه.

كثيرًا ما تُوصَف الشجاعة بأنها غياب الخوف.

هذا هراء.

الشجاعة هي المضيّ بينما الخوف يواصل السير إلى جانبك.

وأنت تعلم أنه لن يختفي.

وأنت تعلم أنه سيُحدث ضجيجًا.

وأنت تعلم أنه سيحاول إقناعك بالعودة.

وتمضي قدمًا رغم كلّ شيء.

ما نراه اليوم مسارًا متماسكًا كان، لحظة حدوثه، سلسلة من اختيارات هشّة.

مرّات كثيرة لم أكن على يقين من أنني أفعل الصواب.

كنت فقط على يقين من أنّ عدم فعل أيّ شيء هو الخطأ.

إنه فرق دقيق لكنه حاسم.

الحياة لا تكافئ دائمًا من ينتصر.

غالبًا تكافئ من ينطلق.

من يحاول.

من يجرؤ.

من يعبر الباب.

لأنّ كلّ تجربة تولّد تجربة أخرى.

كلّ خطوة تخلق إمكانات جديدة.

كلّ حركة تنتج لقاءات جديدة.

أمّا البقاء بلا حراك، فلا ينتج سوى الجمود.

اليوم كثيرون يبحثون عن حوافز.

أنا أبحث عن اتجاه.

الحوافز تتغيّر.

والاتجاهات تبقى.

سيكون هناك دائمًا أشخاص مستعدّون ليشرحوا لك لماذا أمرٌ ما مستحيل.

لماذا ليس هذا هو الوقت.

لماذا لست جاهزًا.

لماذا لا تملك خبرة كافية.

لماذا المخاطرة كبيرة جدًّا.

استمع إليهم.

ثم قرّر وحدك.

لأنه في النهاية لن يعيش أحد منهم حياتك.

لن يحمل أحد منهم ثقل تنازلاتك.

لن يعبر أحد منهم الزمن بدلًا منك.

ذلك عمل يقع عليك وحدك.

إن كان هناك درس تركه لي الزمن، فهو هذا.

الفرص التي غيّرت وجودي لم تصل مصحوبة برسالة تصريح.

لم تحمل أختامًا.

لم تحمل شهادات.

لم تحمل ضمانات.

كانت تحمل سؤالًا واحدًا فقط.

«أتريد أن تدخل أم تريد أن تبقى خارجًا؟»

في كلّ مرة خفت.

في كلّ مرة تردّدت.

في كلّ مرة فهمت الشيء نفسه.

لم يكن أحد سيمنحني الإذن.

لذلك فتحت الباب بنفسي.

وهناك واصلت الحكاية مسيرها.